استقطاب منطقة غريس للأشراف

الطالبة الدكتورالية سمية مصدق، جامعة معسكر

يعتبر سهل غريس من السهول الداخلية للجزائر الواقع بمنطقة معسكر، أشارت إليه المصادر التاريخية عامة ومصادر علم النسب على وجه الخصوص، وشاعت تسمية هذا الإقليم بكل مظاهر السطح فيه بإقليم غريس. كما تتفق أكثرية المصادر على تسميته بهذا الاسم؛ لأنه مغروس بالأشجار ذات الثمار وغني بغطاء نباتي كثيف، وبه سهل خصب فسيح. [1]

[1] أشارت المصادر التاريخية إلى إقليم غريس وقصدت به إقليم معسكر، ينظر
عيسى بن موسى التوجيني الغريسي، شرح المنظومة المسماة بغية الطالب، شرح محمد الأعرج، ضمن كتاب: بلهاشمي بن بكار، مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، مطبعة بن خلدون، تلمسان، 1961، ص ص 371-372.
محمد الجوزي بن احمد بن محمد الراشدي، فتح الرحمان في شرح عقد الجمان، المكتبة الحسنية، الرباط ، مخطوط رقم: 1434، ص 48.
يعد سهل غريس من السهول الداخلية للجزائر، وهو عبارة عن حوض منخفض تبلغ مساحته 1185 كلم^2 أي 118500 هكتار، ويغطي كامل حوض وادي افكان، يحده من الشمال جبال بني شقران، ومن الجنوب جبال سعيدة، ومن الغرب جبال بوحنيفية وجبال اوسيلاس، ومن الشرق هضبة تيغنيف التي يمتد خلفها حوض وادي مينا. أثرت السلاسل الجبلية التي تحيط بالسهل بين (بني شقران من الشمال والغرب وجبال سعيدة من الجنوب) على الخصائص المناخية له فتتميز بالقارية، ينظر:
محمد عليو، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر (1701ـ1830)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، المركز الجامعي بمعسكر، 2008-2009 ، ص18.

وتعد منطقة غريس من أبرز المناطق المستقطبة للأشراف المهاجرين في تاريخ الجزائر، فما هي العوامل التي حفزت الأشراف لاتخاذ غريس مقصدا للهجرة دون غيرها من المناطق؟ وما هي أبرز الأسر التي هاجرت إلى هذه المنطقة واشتهرت بين أهاليها.

- عوامل هجرة الأشراف إلى منطقة غريس:

لقد اجتمعت عدة عوامل في استقطاب الأشراف [1] المهاجرين من مواطن متعددة إلى منطقة غريس التي توفرت لهم فيها كل وسائل الراحة، من حسن المعاملة والاحترام والتقديس والتقدير والتبجيل من العامة والخاصة، ومن أبرز هذه العوامل:

[1]: يقول ابن منظور: الشرف لغة شَرُفَ يَشْرُفُ شَرُفًا وشُرْفَةً وشَرَافَةً فهو شريف والجمع أشراف، ويطلق على الرجل الماجد ومن كان كريم الآباء. ويعني العلو ويقال رجل شريف ورجل ماجد أي له أباء متقدمون في بالشرف. واصطلاحا: يختلف مفهوم الشرف من عصر إلى آخر ويتسع أو يضيق من دولة إلى أخرى، وبما أن الشرف في الأصل يعني الرفعة فقد كان يطلق في العصر الجاهلي على عظماء العرب وكان العرب يقولون» الشرف نسب» ينظر:
ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1997، ص423.
محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، على من يطلق الشريف من خلال مصادر ومراجع علم الأنساب في تراثنا العربي الإسلامي، مجلة الدوحة، العدد الأول، المغرب، 1996.
محمد حسين الحسني الجيلالي، جريدة النسب لمعرفة من انتسب إلى خير أب ، ط1، شركة مطبعة النجمة، المملكة الأردنية، 1998، ص ص21،22.
أبو ازروال المعلاوي، شذرات من الشرف المنيف والجهاد ومقاومة الاستعمار، د.م، د.ت، د.ط، ص 13.
إدريس الفضيلي، الدرر البهية والجواهر النبوية، مراجعة ومقابلة أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، مطبعة فضالة، المغرب، 1999، ج1، ص 11.

- **العامل الطبيعي:**

إن إقليم غريس يتوفر على بيئة طبيعية جميلة من أشجار مثمرة وأراضي خصبة ووديان ومناخ جميل ومعتدل، وهذا عامل يساعد على العيش والاستقرار، وبهذا يصبح هذا الإقليم وفق هذه المعايير إقليما جاذبا للسكان وليس منفرا، وكل هذه الخصائص الطبيعية شجعت وحفزت الأشراف لاتخاذه موطنا لهم [1].

- **العامل الاقتصادي:**

كما أشارت المصادر أن سهل غريس هو سهل من السهول الجزائرية الواسعة التي تمتاز بالخصوبة ووفرة الماء والغطاء النباتي، وهذا ما جعله متعددا من حيث موارد الرزق، الذي انعكس بالإيجاب على المستوى المعيشي والاقتصادي لسكان المنطقة.

كما عبر الحسن الوزان خلال القرن السادس عشر ميلادي (ت. نحو **957**هـ/ نحو **1550**م) عن غنى إقليم غريس بالموارد في قوله: « من قرى إقليم بني راشد: «المعسكر، وبها يقيم خليفة الملك مع

[1] ينظر:

المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي في اختراق الأفاق، تحقيق محمد حاج صديق، مركز المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 103.

أبو القاسم ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتبة دار الحياة، دون تاريخ، بيروت، ص 88.

L. Guin, le collier de pierres précieuses ou mention des principaux personnages d'origine noble (de la contrée du Reris), revue africaine .T. 35, 1887, p. 245.

Tatareau , in Emerit , L'Algérie à l'époque d'Abdelkader, Paris, Larousse,1935, p. 90

فرسانه، يعقد فيها سوق كل يوم خميس، يباع فيه عدد وفير من الماشية والحبوب والزيت والعسل، وكثير من منسوجات البلاد وأشياء أخرى أقل قيمة، كالحبال والسروج والأعنة وحاجات الخيل» [1].

ويذهب إلى نفس المنحى حمدان بن عثمان خوجة (1775–1840م) في كتابه المرآة: « ومعسكر سكانها من العرب والأتراك والبربر وفيهم كثير من الكراغلة، طباعهم وعاداتهم كثيرة الشبه بطباع وعادات أهل تلمسان. إنهم فلاحون ويشتغلون خاصة بمضاعفة أصناف الخيل المختلفة وغيرها من الحيوانات الأخرى يمارسون التجارة مع بني ميزاب، وفي هذه المنطقة تصنع البرانس الشهيرة السوداء ذات اللون الطبيعي والأقمشة الكتيمة والتي تستعمل في كامل أنحاء إيالة الجزائر، وتصدر إلى مصر وتركيا ... مدينة معسكر أقل قيمة من مدينة تلمسان، وعندما كانت وهران في يد الاسبانيين، كانت معسكر هي مقر الباي، وكانت المقاطعة عندئذ غنية وشاع الترف في معسكر ويظهر ذلك في منازلها وهندستها، إنها مدينة أكثر تقدماً من تلمسان» [2].

- **العامل الاجتماعي:**

إن أشراف غريس كانوا يمثلون فئة مثقفة في مختلف العلوم والفنون، كما كان الشرفاء أنفسهم يوصون أولادهم بالعلم. ففي

[1] الحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، 1983، ج2، ص ص 26–27.

[2] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر، تعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986، ص 97.

وصية لعبد الرحمان بن راشد المعروف بدح بن زرفة لأولاده قال ما نصه: « ...عليكم بالعلم فإنه يزيد الشريف شرفا ولا غنى لأحد عنه ... [1]».

كان شرفاء سهل غريس علماء ورعين، وما زادهم شرف آل بيت رسول الله إلا بهاء وجلالا، وقد أكسبتهم هذه الخصال محبة الناس لهم أينما حلوا وارتحلوا عبر التاريخ. فحسن المعاملة والاحترام والتقديس التي كان يكنها لهم سكان سهل غريس من بين العوامل المساعدة لجذبهم إلى هذه المنطقة، فتبوؤوا أعلى مراتب التصنيف الاجتماعي [2].

- **العامل السياسي:**

إن توفر الأمن والاستقرار كان عامل استقطاب للأشراف، وفي هذا الشأن يقول أبو رأس الناصري (**1751–1823**م): « ... وهي أحد مواطن المغرب الأوسط، وعرفت بأرض زناتة، وهي في غاية الخير، والأمن، والعافية، والقرى، والبساتين المتصلة، وكثيرة العلماء، واستمرت هكذا إلى أن دخلها الحشم أواخر المائة التاسعة ... «. [3] إضافة إلى الحظوة التي منحها إياهم رجال السياسة بإعفائهم من دفع الضرائب سواء من قبل الأتراك أو رؤساء القبائل الكبرى. [4]

[1] عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد التوجيني، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، المكتبة الوطنية، الجزائر، مخطوط رقم: 2333، ص 4.

[2] T. Chentouf, une analyse du scharifisme dans la région de Mascara au milieu de XVII siècle, actes de III congrès d'histoire et de civilisation de Maghreb, pp. 185-194.

[3] أبو رأس الناصري، شرح غوثية أبي المهدي عيسى بن موسى الدر المهدي لغوثية أبي المهدي، المكتبة الوطنية الجزائري، الجزائر، مخطوط: رقم 3326، ص22.

[4] أبو حامد العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، مخطوط رقم: 3326 ، ص ص 26–27.

- **العامل الثقافي:**

كانت منطقة غريس مركز إشعاع ثقافي، لوفرة العلم والزوايا والمدارس، حيث كان الأشراف مولوعين بالعلم والمعرفة، ومع توفر هذه البيئة الثقافية الحاضنة لهم، اتخذوها مقصدا للهجرة دون غيرها من المناطق، كما قال المشرفي: « ... إقليم العلم والصلاح وحاضرة الدين والفلاح» [1]. كانت مدينة معسكر مقر العديد من العلماء الأشراف، لأنها كانت مركزا علميا، ومن بين هؤلاء أبي رأس الناصري القائل في كتابه فتح الإله ومنته: « رأيت من آفات العلم البادية، وتذكرت قول الإمام مالك للشافعي: « لا تسكن الريف، فيذهب علمك، وتهتك حرمتك» فانتقلت إلى أم معسكر، وشمرت ساق الجد للتدريس ليلا ونهارا، وداومت ذلك ستة وثلاثين سنة متصلة ... ... « [2]. إن عناية السلاطين وملوك الأتراك ورؤساء القبائل بالأشراف كانت من العوامل التي دفعتهم لاختيار هذه الوجهة لاستقرارهم. [3]

---

[1] أبو محمد بن العربي بن علي الحسني المشرفي، في الرد على أبي رأس الناصري، مخطوط، ملك خاص، ص 13.

[2] محمد أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته «حياة أبي راس الذاتية والعلمية»، حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1990، ص 22.

[3] عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد التوجيني، المصدر السابق، ص 4.

أبو محمد المشرفي، المصدر السابق ص 13.

العربي المشرفي، المصدر السابق، ص26،27.

الطيب بن المختار الغريسي، القول الأعم في بيان نسب قبائل الحشم، ضمن كتاب: بن بكار: المصدر السابق، ص 331.

محمد الأعرج الغريسي، المصدر السابق،ص 373.

- توطن العائلات الشريفة بغريس:

كانت منطقة غريس من بين المناطق الرئيسية في الجزائر التي استقطبت الأشراف من مناطق متعددة، فهاجرو من مواطنهم في صقلية وافريقية والمغرب الأقصى والأندلس والمشرق الإسلامي، وبعدما كانوا مهاجرين أصبحوا هم السادة في هذا الإقليم.

تطرقت مصادر النسب إلى هجرة الأشراف من مناطق متعددة إلى منطقة غريس التي كانت وجهتهم وتم اتخاذها وطنا بديلا عن أوطانهم، فهذا محمد الأعرج الغريسي يصف أشراف غريس بالمتوطنين، أي أنهم اتخذوا من غريس وطنا لهم [1]، كما يصفهم صاحب العقد هو الآخر بنفس الوصف، وهذا في قوله:» أنه سأله بعض من أبناء زمانه، أن يكتب لهم مؤلفا يذكر فيه من توطن أرض غريس من الأشراف.» [2] ويقول شارح العقد:»...من توطن أرض غريس من الذرية اتخذها وطنا أي مقرا ومسكنا» [3].

وتذكر بعض المصادر الوجهة التي اختارها الأشراف فقط؛ وهي غريس، ولا تذكر الموطن الأول لهم، ففي قول الطيب بن المختار الغريسي جاء ما يلي :» ... إن الأصل ... يجمع سيدي ميمون وسيدي أيوب، وهذان الرجلان قديمان في استيطان غريس ... « [4]،

[1] المصدر نفسه، ص 374.

[2] عبد الرحمان التوجيني، المصدر السابق، ص 1.

[3] محمد الجوزي بن أحمد بن محمد الراشدي، المصدر السابق، ص 48.

[4] الطيب بن المختار الغريسي، المصدر السابق، ص 335.

كما قال كذلك: « إن سيدي أحمد بن علي هذا هو أول من استوطن غريس ...» [1]، أي أن الأشراف جعلوا منطقة غريس وطنا لهم وهاجروا إليها وأصبحت من أبرز المناطق المستقطبة للأشراف في الجزائر.

ومن بين الشرفاء الذين اختاروا الهجرة إلى منطقة غريس، سيدي أحمد بن يوسف كما يقول بلهاشمي بن بكار:» ... تلامذة الولي الشهير المربي الكبير سيدي أحمد بن يوسف الراشدي ... ومنهم أبو العباس سيدي أحمد بن علي البوعمراني يقال، إن شيخه سيدي أحمد اختار له سكنى الواسطة من أرض غريس إلى أن مات، وقبره بها رحمه الله من أبرك المزار ... « [2].

وذكر محمد الجوزي الراشدي أن وجهة هجرة عامر وراشد كانت منطقة غريس:« وأخبرني أن يحي أبا راشد هذا المذكور في السلسلة مات مقتولاً، وترك الحسن وإدريس وعلياً ويوسف وعامر وراشد في بطن أمه، فلما وضعته بقرب موته وكبر اقتسم المال الذي تركه أبوه هو وإخوته، وانتقل، أي زال؛ لأن الانتقال هو الزوال هو وأخوه عامر إلى غريس، فسكن عامر مع البرابرة ... في مكان بناحية كرسوط بفتح الكاف وسكون الراء وضم السين المهملتيين، جبل معروف سمي بسم ساكنته في القديم من الزمان، ونحى راشد نحو هوارة ...». [3]

وصرح أحمد العشماوي أن محمد الشريف اختار معسكر للاستقرار بها، وهذا في قوله:» ... وأما سيدي محمد الشريف بن أحمد استقر في معسكر إلى

[1] المصدر نفسه، ص 333..

[2] بن بكار: المصدر السابق، ص 148.

[3] محمد الجوزي، المصدر السابق، ص 88.

أن مات» [1]، ويقول أيضا: « ... أما سيدي عثمان المكنى بوأكرارة انتقل بإزاء غريس الشرقي» [2]، ويضيف كذلك أن عمران بن عمران وذرية عبد القوي هم من الذين هاجروا إلى منطقة غريس: « ... وأما عمران بن عمران انتقل إلى غريس وخلف أربعة أولاد، محمد وأحمد وعلي وعامر ... وأما القطب سيدي عبد القوي بتفرست خلف أربعة أولاد، وهم محمد وأحمد وعبد السلام وعبد القوي الأصغر وكلهم لهم عقب ... ومنهم فرقة في غريس يقال لهم أولاد سيدي علي بن محمد بن سعد براد الرصاص وقبره معروف إلى الآن». [3]

ويقول علي بن الحاج موسى الجزائري أنه كان من بين المهاجرين سيدي عمران وأولاده: « ... فكان بنو عمران وبنو عون صرخة واحدة وهم أهل جبل بني راشد» [4]، ويضيف عبد الله بن أحمد الاسكندري». وأما سيدي عمران رضي الله عنه انتقل إلى غريس وخلف أربعة أولاد وهم محمد وأحمد وعلي وعامر» [5].

إن هجرة معظم الأشراف إلى منطقة غريس كانت نتيجة الاضطهاد الذي لحق بهم أثناء سقوط دولة الأدارسة (**985**م)، أو

[1] أحمد بن محمد العشماوي، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت الطاهر، ضمن كتاب بن بكار: المصدر السابق، ص 287.

[2] المصدر نفسة ، ص 330.

[3] المصدر نفسة، ص 280.

[4] بن الحاج موسى علي بن أحمد الجزائري، ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، رقم: 3251، ص 129.

[5] عبد الله بن أحمد الإسكندري، سلسلة النسب، مخطوط، ملك خاص، ص ص 3-5.

سقوط صقلية (**1072**م)، أو سقوط الأندلس (**1492**م)، فهاجروا قصد البحث عن الاستقرار والراحة والتعمير، وهاجر البعض الآخر إلى المنطقة قصد أداء مهام إدارية، وفيما يلي أبرز العائلات التي هاجرت إلى المنطقة :

1-أشراف المغرب الإسلامي:

لقد كانت منطقة غريس قبل تأسيس دولة الأدارسة في القرن الثامن ميلادي منطقة استقطاب لآل البيت النبوي الشريف، وتمثلت في قلعة راشد بن مرشد؛ التي أصبحت مقصد الشرفاء من أحفاد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا ما عبرت عنه مصادر عديدة تناولت موضوع النسب.

ويذكر في هذا الشأن عبد الرحمان بن محمد الفاسي في « جوهرة العقول ...» أن إدريس وسليمان « ... فرا بنفسيهما إلى المغرب وهما يجيدان السير، إلى أن بلغا أم العساكر بحوز تلمسان، ونزلا على راشد بن المرشد القرشي، وذلك لأن راشد سبق إدريس وأخيه سليمان نحو تلمسان... «.[1] وفي هذا الصدد يقول العشماوي أيضا :» ... وأما إدريس ففر بنفسه إلى المغرب الأقصى مع مولاه راشد بن المرشد القرشي وكان أخاه من الرضاعة ... ووصل مدينة تلمسان وتبعه آخوه سليمان ... «[2].

ويضيف عبد الرحمان بن محمد الفاسي في « إثماد الأبصار ...» عن هجرة إدريس الأكبر وسليمان إلى منطقة غريس :» ... إلى أن نزلا بأم العساكر عند راشد بن المرشد وأحسن بهما، فمكث إدريس

[1] عبد الرحمان بن محمد الفاسي، جوهرة العقول في ذكر أل النبي الرسول وفي محتواه يوجد إثماد الأبصار في الاختصاص بالأشراف الأخيار، مخطوط، ملك خاص، 15-16.

[2] أحمد بن محمد العشماوي، التحقيق في النسب الوثيق، المكتبة الوطنية، الجزائر، مخطوط رقم: 2365، ص 9.

وأخوه سليمان عند راشد ستة أشهر، فلما أراد إدريس القدوم إلى المغرب قال له راشد إن كان ولا بد فلا عليك شرط بأن لا تؤثر علي أحدا، وتراعي أولادي من بعدي كما تراعيني، قال له مولانا إدريس رضي الله عنه فلك ذلك، وأنا اشرط عليك أن لا تبدلني وتراعيني في نومي ويقظتي، قال له نعم، فتحالفا معاً على ذلك وسار إلى بلاد المغرب، وكان لراشد ألف مملوك وخلف غلاما اسماه راشد الأصغر ... « [1].

ثم يتحدث عن قدوم المرشد من مصر إلى غريس في قوله: « ... قال لي سيدي محمد الهواري قرأت على القطب الغوث أبي عبد الله سيدي محمد الفاسي رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم أمين، فسأله عن راشد بن المرشد فقال لي: كان المرشد بمصر وكان له أخ اسمه المهدي مستخدماً للأمير، وقال يوماً للأمير أن أخي يريد الخلافة فبعث إليه الأمير ليأخذه، وكان المرشد شيخاً كريم الملك فأرسل من خدامه أحدهم إلى المرشد فحذروه، وكان المرشد لا يأوي إلى الحضر، وكانت له خيمة بالبادية، فمكث فيها حتى جن الليل وحمل جميع ما عز عليه من متاعه وترك ما هان، وصار يجد السير حتى بلغ حوز تلمسان يعني ببلاد أم العساكر، فلما رأوه أهل تلك البلاد ورأوا خيره وجوده اتخذوه رئيسا، فمكث عندهم وتزوج منهم امرأة فولدت له معها ولدا وهو راشد ... ...» [2]. بينما

[1] عبد الرحمان بن محمد الفاسي، اثماد الأبصار في الاختصاص بالأشراف الأخيار، مخطوط، ملك خاص، ص 14

[2] المصدر نفسه، ص 13

ينفي محمد الجوزي قدوم المرشد إلى غريس في قوله: « ... بن أحمد من أبناء أحمد بن راشد إليه تنسب الراشدية إلى راشد مولى إدريس إذ لم يستوطنها ولا تملك بها ... » [1].

ويذهب الطيب بن المختار الغريسي (ت. **1890**م) في « القول الأعم ...» أن راشد الذي تنسب إليه منطقة الراشدية هو راشد بن إدريس: « ... ومن المعلوم أن أشراف غريس يدعون ببني راشد، وكانوا لا يعرفون في القديم إلا بهذا نسبة إلى راشد بن إدريس رضي الله عنه، وراشد هذا هو الأصل الذي يجتمع فيه أعيان أشراف غريس ... » [2].

من بين الذين هاجروا إلى منطقة غريس الورغيون كما يذكر محمد الأعرج الغريسي: « ... قد قدم سلف الأشراف الورغيين لوطن راشد في فترة الصراعات التي كانت بين بني العافية والأدارسة وسقوط دولة الأدارسة، فاضطروا إلى الهجرة من مواطنهم إلى منطقة غريس، وسيدي أحمد الورغي هو من هذا الأصل.» [3] كما يضيف الطيب بن المختار الغريسي:» ...ومنهم أولاد سيدي أحمد الورغي ويعرفون الآن بورغة، وجدهم سيدي أحمد قدم من

[1] محمد الجوزي، المصدر السابق، ص 86.

[2] الطيب بن المختار الغريسي، المصدر السابق، ص 330.

[3] محمد الأعرج الغريسي، المصدر السابق، ص ص 387-388.

المغرب، وهو منسوب إلى ورغى، قبيلة عظيمة بالمغرب بين فاس وقصر لمتونة ط. [1]

ويتضح من هذين النصين أن محمد الأعرج الغريسي والطيب بن المختار الغريسي يتفقان على أن أصول الورغيين تعود إلى المغرب الأقصى، ويضيف الطيب بن المختار أن جدهم سيدي أحمد الورغي هو الذي قدم من المغرب الأقصى إلى منطقة غريس.

- **المشارف**:

يقول صاحب القول الأعم أن سلف المشارف قدم من بوسمغون، أحد قصور الصحراء [2]؛ وهو ما يقول به كذلك محمد الأعرج الغريسي:« ... مشرف بن عبد الرحمان بن مسعود، المقدم لغريس قاضيا لبعض أمراء بني زيان من صحراء أبي صمغون ». [3]

تؤكد الروايتان أن المشارف كانوا متواجدين بالمغرب الأقصى، ثم انتقلوا إلى غريس واتخذوها وطناً لهم، وهذا قصد القيام بمهمة القضاء عند أمراء بني زيان، وينوه محمد الأعرج الغريسي أن أول قادم من العائلة المشرفية هو مشرف بن عبد الرحمان.

غير أن روايات أخرى تخالف هذا الزعم: « ... أما في مختصر البيان في ترجمة الموحدين وفي غريس من اكرط من ناحية جبل الشقران لتشريف

[1] الطيب بن المختار الغربسي، المصدر السابق، ص ص 335-336.
[2] المصدر نفسه، ص 335.
[3] محمد الأعرج الغريسي، المصدر السابق، ص 387.

العرهـــبي الذي أتى من فجيج مولانا يوسف بن عيسى بن عبد الله بن العربي بن يعقوب الشريف الحسني ... « [1]. ويقول محمد الجوزي الراشدي المزيلي: « ... السيد أحمد أبو جلال المشرفي نسبة إلى مشرف بفتح الراء وكسرها بن عبد الرحمان بن مسعود المقدم قاضياً لغريس لبعض ملوك بني زيان من ذرية سيدي يوسف بن عيسى الشريف الحسني على ما وقفنا عليه من الوثائق للعلماء» [2].

يقول العربي المشرفي: « ومن شرفاء الشهرة بغريس الراشدية، سيدنا الحاج يوسف بن عيسى دفين الكرط، عرهبي من أولاد عرهب شرفاء فجيج، ... شرفاء فجيج جموع بنو تودغير وأولاد عمران وأولاد مخلوف وأولاد عرهب، انتقل من فجيج إلى وطن الراشدية غرب المعسكر، فنزل سيير الشقران بسفح جبل الذهب ...». [3]

إن الروايات تتفق كلها على أن العائلة المشرفية هاجرت إلى غريس، قصد ممارسة مهمة القضاء لدى أمراء بني زيان، لكنها اختلفت حول المنطقة التي تمت منها الهجرة، بين قصور بوصمغون وواحات فجيج.

- المختاريون:

إن سلف سيدي أحمد بن المختار كانوا مستقرين بالمغرب الأقصى، وبعد الطرد والتنكيل الذي أصاب الأشراف الأدارسة على يد بني العافية،

[1] أبو محمد المشرفي، المصدر السابق، صص 15،16.
[2] محمد الجوزي ، المصدر السابق، ص99.
[3] العربي المشرفي، المصدر السابق، ص 18.

انتقلوا إلى تونس وانتقل منهم السيد أحمد المعروف بالمختار إلى غريس واتخذها وطناً له: « ... بن المختار ونسب هذه القبيلة يتصل بمولانا إدريس رضي الله عنه، وقد خرج سلفهم الأول في فتنة موسى بن العافية، حسبما حدثني بذلك مولانا الأمير، ولا ينبئك مثل خبير، فاستقر بإفريقيا مصحوبا بالتجلة والتعظيم إلى أن توفي، وبقي عقبه بها ملحوظا بعين الرضا، والمجادة مقرون الاسم بالمشيخة والسيادة. إلى أن انتقل لهذا القطر الغريسي منهم جدنا الأعلى السيد أحمد المعروف بالمختار.» [1]

- البوازيد:

ومن الذين هاجروا كذلك من المغرب الأقصى الفقيه سيدي بوزيد، واستقر من ذريته بمنطقة ماقضى بغريس سيدي العيد، وهذا ما تضمنه مخطوط «العقد النضيد في نسب البوازيد» لعبد الله بن أحمد بن عبد الرحمان البوزيدي: « ... وقد خلف هذا الغوث أربعة أولاد، وهم علي وعبد الله ومحمد وأحمد، فأما علي وعبد الله فقد قبرا بأرض الغزيويات بأرض راشد ... ... » [2]. وانتشر بعض ذرية سيدي بوزيد في إقليم غريس، وعرفوا بين القبائل بأولاد سيدي العيد. [3]

- أشراف تونس:

نص كتاب «روضة الأزهار في التعريف بآل النبي المختار» أنه من بين الأشراف الذين هاجروا إلى المنطقة سيدي يعقوب الشريف: « ... ومنهم

[1] الطيب بن المختار الغريسي، المصدر السابق ص 337.

[2] عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمان البوزيدي، العقد النضيد في نسب البوازيد، مخطوط، ملك خاص، ص 4.

[3] المصدر نفسه، ص5.

أولاد الولي الصالح سيدي يعقوب الشريف في وطن مغراوة، ومن ذرية أولاد محرز خلف في ناحية الشرق في بلدة يقال لها تونس، وانتقل بعضهم إلى الغرب وتوطن في بلدة يقال لها الراشدية قرب أم عسكر، ومن ذرية سيدي علي بن عيسى بن أحمد بن محمد بن العباس بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن علي بن ميمون بن الحاكم بن إبراهيم بن زيان بن الفضل ...». [1]

إن سيدي يعقوب الشريف المذكور هو من ذرية أولاد محرز الذي كانت ذريته في تونس، وانتقل البعض منها إلى مدينة معسكر.

2- أشراف صقلية:

اختارت عائلات شريفة من صقلية الهجرة إلى منطقة غريس، وهذا في أعقاب احتلال النورمان للجزيرة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر ميلادي عام 1072م، ومن هذه العائلات أسلاف سيدي راشد بن برقان، إذ يقول محمد الأعرج الغريسي :« كان مجيء هؤلاء الأشراف الحسينيون من جزيرة صقلية عند احتلالها من قبل النورماند، فبعضهم اختار الهجرة إلى سبتة والأندلس وإفريقيا، والبعض اختار الهجرة إلى جبل راشد.» [2].

وأكد العربي المشرفي (**1804-1895**م) هو الآخر على وجود عائلات من صقلية هاجرت إلى إقليم غريس في قوله: « وأشهر بيوتهم الشيخ المشرفي، فقد كان رضي الله عنه في علم الأصول والفروع بحر لا يجارى ...

[1] بن بكار، المصدر السابق، ص 147.

[2] محمد الأعرج الغريسي، المصدر السابق، ص 373.

وما تفرق من خزانته التي كانت مستودعة لدى الصقليين لا يعد ولا يحصى.» [1].

3- أشراف الأندلس:

هاجرت عائلات عديدة من الأندلس بعد سقوطها عام **1492**م في يد الإسبان واختارت منطقة غريس، ومن هذه العائلات حسبما تذكره المصادر ما يلي:

- الدحاحوة:

صرح الطيب بن المختار الغريسي في مؤلفه أن: « ... أصل سلفهم من الأندلس، وهم من بني حمود الذين كانوا ملوكا بها.» [2]، وأكد هذا القول محمد الجوزي الراشدي عندما تحدث عن أجداد سيدي دحٌ بن زرفة في قوله :» ... ابن عيسى بن عقيل بن أحمد بن محمد، منهم من طلب ملك الأندلس من ملك الأشراف ... وطالت إقامتهم مع ملوك الأتراك، طالبين منهم ما لم ينفذه القدر، وكانوا يعرفون عندهم بمصر وغيرها بأبناء ملوك الأندلس. [3] وفي نفس الاتجاه، ذهب أحد الباحثين هو الآخر في المجلة الإفريقية لعام **1887**م يؤكد أن سيدي دحٌ بن زرفة ينحدر نسله من مهاجرين جاءوا من الأندلس» [4].

---

[1] العربي المشرفي، المصدر السابق، ص 19.

[2] الطيب بن المختار الغريسي، المصدر السابق، ص 332.

[3] محمد الجوزي، المصدر السابق، ص 86.

[4] L . Guin, op. cit, p.248.

إن من بين أبناء سيدي علي بن عبد الرحمان، الذين اختاروا الهجرة إلى غريس، سيدي أحمد بن علي[1]، وأما سيدي محمد بن علي فاختار الهجرة إلى مجاجة[2]، وهذا ما نقف عليه في قول أحمد بن محمد العشماوي :»سيدي محمد بن علي في مجاجة وسيدي أحمد بن علي في غريس: وخلف سيدي علي بن عبد الرحمان ولدين، سيدي أحمد وسيدي محمد، فأما سيدي أحمد بن علي انتقل إلى غريس، وخلف ولدا اسمه سيدي أحمد بن علي بن عبد الرحمان، وأما سيدي محمد بن علي رضي الله عنه انتقل إلى مجاجة.» [3] ويقول العربي المشرفي عن سيدي محمد بن علي أن «... أسلافه شرفاء الأندلس، وهم جموع من الأدارسة وغيرهم» [4]. وعليه، فإنه قد يكون سيدي أحمد بن علي أيضا هو من شرفاء الأندلس بما أنه شقيق سيدي محمد بن علي.

ويروي بلهاشمي بن بكار أن سيدي أحمد بن علي قدم من بلدة تسالة من ضواحي سيدي بلعباس «... أذن له شيخه سيدي أحمد بن يوسف الملياني في القدوم من بلده تاسالة للوطن الراشدي بغريس ... فسيدي أحمد بن علي هو أول قادم من أجدادنا من تاسالة» . [5]

[1] يوجد ضريحة بضواحي مدينة معسكر

[2] يوجد ضريحة بمجاجة

[3] العشماوي، السلسلة الوافية ...، مصدر سابق، ص 280.

[4] العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة ...، مصدر سابق، ص 99

[5] بن بكار، المصدر السابق، ص 138.

كان الشرف يعني الكثير لسكان منطقة غريس؛ فهو عندهم البركة والكرامة والتقديس، وتمتع الشريف بمكانة اجتماعية راقية، أساسها الاحترام الوقار والإعفاء من الضرائب، والجاه لدى رجال السلطة والعامة.

إن تكوين الأشراف العلمي وإلمامهم بعلوم ذلك العصر، ونسبهم الشريف المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم، خول لهم أن يلعبوا أدوارا اجتماعية وثقافية ودينية وسياسية في منطقة غريس وخارجها. ونتج عن هذا بروز ظاهرة إدعاء النسب الشريف، وهذا لتحصيل الامتيازات التي كان يتمتع بها الشريف دون غيره.

المراجع والمصادر:

(أ) باللغة العربية:

- **المخطوطات:**

الإسكندري عبد الله بن أحمد، سلسلة النسب، مخطوط، ملك خاص .

البوزيدي عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمان، العقد النضيد في نسب البوازيد، مخطوط، ملك خاص.

التوجيني عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، المكتبة الوطنية، الجزائر، مخطوط رقم: **2333**.

الجزائري الحاج موسى على بن أحمد، ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، مخطوط رقم: **3251**.

الراشدي محمد الجوزي بن أحمد بن محمد، فتح الرحمان في شرح عقد الجمان، المكتبة الحسنية، الرباط، مخطوط رقم:**1434**.

العشماوي أحمد بن محمد، التحقيق في النسب الوثيق، المكتبة الوطنية، الجزائر، مخطوط رقم: **2365**.

الفاسي عبد الرحمان بن محمد، إثماد الأبصار في الاختصاص بالأشراف الأخيار، مخطوط، ملك خاص.

المشرفي أبو حامد العربي، ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، مخطوط رقم: **3326**.

المشرفي أبو محمد بن العربي بن علي الحسني، في الرد على أبي رأس الناصري، مخطوط، ملك خاص.

الناصري محمد أبو راس، شرح غوثية أبي المهدي عيسى بن موسى الدر المهدي لغوثية أبي المهدي، المكتبة الوطنية الجزائري، الجزائر، مخطوط: رقم **3326**.

- المصادر المطبوعة والدراسات والرسائل الجامعية:

ابن حوقل أبو القاسم، صورة الأرض، منشورات مكتبة دار الحياة، دون تاريخ، بيروت.

ابن منظور، لسان العرب، ط**3**، دار صادر، بيروت، **1997**.

الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق محمد حاج صديق، مركز المطبوعات الجامعية، الجزائر، **1983**.

بن بكار بلهاشمي، مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، مطبعة بن خلدون، تلمسان، **1961**.

بن عبد الله محمد بن عبد العزيز، « على من يطلق الشريف من خلال مصادر ومراجع علم الأنساب في تراثنا العربي الإسلامي»، مجلة الدوحة، العدد الأول، المغرب، **1996**.

بن عثمان خوجة حمدان، المرآة، لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر، تعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، **1986**.

التوجيني عيسى بن موسى الغريسي، شرح المنظومة المسماة بغية الطالب، شرح محمد الأعرج، ضمن كتاب: بن بكار بلهاشمي، مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، **1961**.

الحسني الجيلالي محمد حسين، جريدة النسب لمعرفة من انتسب إلى خير أب ، ط**1**، شركة مطبعة النجمة، المملكة الأردنية، **1998**.

العشماوي أحمد بن محمد، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت الطاهر، ضمن كتاب: بن بكار بلهاشمي، مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، **1961**.

عليو محمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر (**1701_1830**)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تحت إشراف الأستاذ دحو فغرور، جامعة معسكر، **2008-2009**.

الغريسي الطيب بن المختار، القول الأعم في بيان نسب قبائل الحشم، ضمن كتاب: بن بكار بلهاشمي، مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، مطبعة بن خلدون، تلمسان، **1961**.

الفاسي الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، **1983**.

الفاسي عبد الرحمان بن محمد، جوهرة العقول في ذكر أل النبي الرسول، مخطوط، ملك خاص.

الفضيلي إدريس، الدرر البهية والجواهر النبوية، مراجعة ومقابلة أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، مطبعة فضالة، المغرب، **1999**.

المعلاوي أبو ازروال، شذرات من الشرف المنيف والجهاد ومقاومة الاستعمار، د.م، د.ت.

الناصري محمد أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته،«حياة أبي راس الذاتية والعلمية»، حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1990**.

(ب) باللغة الفرنسية:

L. Guin, le collier de pierres précieuses ou mention des principaux personnages d'origine noble (de la contrée du Reris), Revue Africaine .T. 35, 1887, pp. 2**41**-2**60**

T. Chentouf, une analyse du scharifisme dans la région de Mascara au milieu de XVII siècle, actes de III congrès d'histoire et de civilisation de Maghreb, pp 185-194.

Tatareau, in Emerit, l'Algérie à l'époque d'Abdelkader, Paris, Larousse, 1935.